بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس التاسع والثلاثون

◈ **كان قد بقي علينا من الباب السابق ما نقله الشيخ – رحمه الله – بقوله:**

وقيل نزلت: الآيات السابق ذكرها، وقيل نزلت، في رجلين اختصما فقال أحدهما نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر إلى كعب ابن الأشرف. **وكعب بن الأشرف:** هذا يهودي من زعماء اليهود وقيل أنه من طيئ من قبيلة طيء، لكن أمه كانت من بني النضير فكان في عداد اليهود، وكان شديد العداوة للنبي ﷺ بفعله وقوله وشعره، ولهذا قال النبي ﷺ كما ورد في صحيح مسلم: (من لكعب ابن الأشرف؛ فانه آذى الله ورسوله)، فانتدب له ثلة من الصحابة الخيار الأبطال حتى قتلوه، المهم أن هذين الرجلين ولعلهم المذكورين سابقا، اقترح أحدهما الترافع إلى النبي ﷺ واقترح الآخر الترافع إلى كعب بن الأشرف، وقد يكونا غير المذكورين لاختلاف الحال، ثم ترافعا إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فذكر له أحدهما القصة فقال: للذي لم يرضى برسول الله ﷺ أكذلك؟ يعني أنت لم ترضى بالترافع إلى النبي ﷺ، قال: نعم فضربه بالسيف فقتله).

هذا الحديث أو هذه القصة قد أخرجها: الواحدي والبغوي معلقا على الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس، ومن المعلوم أن الكلبي متهم بالكذب فالحديث بهذا الإسناد يكون ضعيفا، ولكن قد أخرجه الطبراني، والواحدي بإسناد جوده ابن حجر، ويبقى أن: **في الحديث إشكال وهو أنه كيف عمد عمر – رضي الله عنه – إلى قتل الرجل من تلقاء نفسه مع أن الحدود لابد أن ترفع إلى السلطان؟** ، فلا شك أن هذا مُشكِل .

وقد أجيب عنه بأجوبة غير مقنعة:

- فإما أن الحديث فعلا لم يثبت أي بمعنى أن القصة لم تثبت،
- وإما أن يقال أن عمر – رضي الله عنه – كان قد اطلع على الحال واستأذن النبي ﷺ؛ لأن المعروف من حال عمر – رضي الله عنه – في وقائع كثيرة أنه كان يقول: للنبي ﷺ يا رسول الله مرني فلأضرب عنقه؛ فلقد نافق فكان النبي ﷺ يمنعه في مناسبات عدة:
  - في قصة حاطب بن أبي بلتعة،
  - وفي قصة الرجل الذي قال له اعدل يا محمد فكان النبي ﷺ يمنعه،
  - وفي قصة عبد الله ابن أبى ابن سلول ويذكر له النبي ﷺ أسبابا دون ذلك

فإذا كان هو المعروف من شأن عمر وهو أنه مع شدة غيرته لله ولرسوله، وشدة حميته لدين الله لا ى يقدم على شيء إلا بعد استئذان النبي ﷺ؛ فينبغي، إن صحة القصة، أن يكون قد علم بما جرى

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

للرجلين سلفا واستأذن النبي ﷺ في ذلك أو يقال أن القصة في ثبوتها نظر فلا نبني عليها حكما شرعيا.

◈ **ومناسبة هذه القصة للباب ظاهرة:**

لأن فيها أن من احتكم إلى غير شرع الله، أنه مستحقا للقتل ،إن هو اعتقد ذلك واستحله؛ لأن التحاكم إلى غير شرع الله ردة في الدين، وهذا ينسحب على من اتخذ ذلك ديدنا أو عادة، ولكن في هذه القصة ما يدل على تفضيله لحكم غير الله على حكم رسول الله ﷺ؛ حيث أنه عرض عليه صاحبه الترافع إلى النبي ﷺ فأبى، فهذا لاشك أن فيه يعنى تحقيق الرغبة عن حكم الله ورسوله.

◈ **نستفيد من هذه القصة:-**

- أن تحكيم غير شرع الله في الخصومات والمنازعات ردة عن الإسلام.

- ونستفيد أيضا أن المرتد حده القتل.

- ونستفيد كذلك أيضا مشروعية الغضب لله ورسوله كما وقع من عمر ووقع لغير عمر - رضي الله عنه - من الصحابة الكرام مواقف مشهودة في الغضب لدين الله - عز وجل .

- ونستفيد أيضا مشروعية تغيير المنكر باليد فيما كان يسوغ تغيره باليد لأن مراتب التغيير كما أخبر النبي ﷺ باليد ثم باللسان ثم بالقلب فإذا وسع الإنسان شرعا أن يغير بيده لزمه ذلك، وان كان التغيير باليد إلى غيره كالسلطان فلا يتجاوز حده.

- نستفيد أيضا ما قد يذكره الشيخ في الفوائد أن معرفة الحق لا تغني عن العمل به والانقياد له؛ فلابد من العمل به والانقياد له، ولا يكتفي بمجرد العلم؛ لأن دين الله أحسن من دين غيره، بل لابد من الامتثال ثمرة لذلك

◈ **نستمع إلى مسائل الباب.....**

[قراءة المتن]

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي النبي الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:-

يقول شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب في كتابه [كتاب التوحيد الذي هو حق الله علي العبيد]:

فيه مسائل

- الأولى: تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت

[الشرح]: نعم وهى قول الله تعالى: ((ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت)) فهي تعين على فهم الطاغوت فمن نصب نفسه أو رضي لنفسه أن يكون مرجعا للتحاكم لغير شرع الله فهو طاغوت

[قراءة المتن]

- الثانية: تفسير آية البقرة ((وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) الآية

[الشرح]: نعم وأن من الإفساد في الأرض التحاكم إلى غير شرع الله

[قراءة المتن]

- الثالثة: تفسير آية الأعراف (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها)

[الشرح]: وذلك أن الأرض صلحت ببعثة النبيين فمن غير هدى الأنبياء وسنن الأنبياء فانه قد أعاد الفساد إلى الأرض

[قراءة المتن]

- الرابعة: تفسير (أفحكم الجاهلية يبغون)

[الشرح]: نعم وتفسير ذلك بأن من فضل حكما غير حكم الله فقد فضل حكم الجاهلية على شرع الله وأن هذا لا يكون موافقا للإيمان لقوله: (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) فمن قدم شرع غير شرع الله على شرع الله ليس من أهل اليقين والإيمان

[قراءة المتن]

- الخامسة: ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولى

[الشرح]: نعم وهى أن الخصومة جرت بين منافق ورجل بين يهودي ومنافق، فاليهودي اختار التحاكم إلى النبي ﷺ لعلم أنه لا يأخذ الرشوة، والمنافق اختار التحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة

[قراءة المتن]

- السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب

[الشرح]: يعني بمعنى أن الإيمان الصادق الذي يقتضى التحاكم إلى الله ورسوله والى شرعه، وأن النفاق الذي هو إيمان مدعى إيمان كاذب يرفض ذلك ويأباه

[قراءة المتن]

- السابعة: قصة عمر مع المنافق

[الشرح]: وقد تبينت وكيف آل به الحال إلى قتله إن صحت

[قراءة المتن]

- الثامنة والأخيرة: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به الرسول ص

[الشرح]: نعم وهذا كما جاء في الحديث الذي قلناه أنه صحيح المعنى قطعا وان كان في إسناده مقال فلا يثبت الإيمان الواجب إلا بذلك.

وبهذه المناسبة أود أن أبين لكم:

مراتب الإيمان

فان الإيمان يمكن أن نجعله مراتب:

١) **أصل الإيمان،**

٢) **الإيمان الواجب،**

٣) **الإيمان الكامل،**

فان معتقد أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يزيد وينقص، وأن أهله يتفاضلون فيه،

١) فأدنى درجات الإيمان أن يحقق الإنسان **أصل الإيمان**

- بما يحقق الإنسان أصل الإيمان؟ بان يأتي بالشهادتين ملتزما بهما فمن أتى بالشهادتين قائلا أشهد ألا اله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله من قلبه فقد حقق أصل الإيمان وعصم دمه وماله كما قال النبي ﷺ: (قولوا لا اله إلا الله تفلحوا)، وقال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم وحسابهم على الله) فهذا إذا أتى به الإنسان فقد رسم الدائرة الداخلية وهى أصل الإيمان بشرط ألا يأتي بناقض لهذا الإيمان، طيب،

٢) إن هو فعل الواجبات وترك المحرمات مع تحقيقه لأصل الإيمان فقد أتى **بالإيمان الواجب**، إذا الإيمان الواجب يحصل بفعل الواجبات وترك المحرمات وعليه حديث الرجل الذي سأل النبي ﷺ وقال ((يا رسول الله أرأيت إن صليت المكتوبات، وصمت رمضان، أدخل الجنة؟ قال: نعم، قال: أفلح وأبيه، إن صدق))

٣) فان هو فعل مع الواجبات المستحبات وترك المحرمات والمكروهات فقد حقق **الإيمان الكامل** فتبين بذلك معنى قول الله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب اللذين اصطفينا من عبادنا،

- فمنهم ظالم لنفسه) من الظالم لنفسه؟ الذي حقق أصل الإيمان لكن ارتكب بعض المحرمات وترك بعض الواجبات،

- (ومنهم مقتصد) من المقتصد؟ الذي أتى بأصل الإيمان وضم إليه فعل الواجبات وترك المحرمات،
- (ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) من هذا السابق الذي حقق أصل الإيمان وأتى بالواجبات و المستحبات وترك المحرمات والمكروهات فهذا بأعلى الدرجات.

باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات

ثم قال المصنف – رحمه الله –:– [قراءة المتن] قال:

باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) [الرعد:٣٠]

وفي صحيح البخاري قال على: (حَدِّثُوا الناسَ بما يَعْرِفُونَ ، أَتُرِيدُونَ أن يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه).

وروى عبدا لرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجل انتفض لما سمع حديث عن النبي ﷺ في الصفات استنكارا لذلك فقال: (ما فرق هؤلاء يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهة) انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم (وهم يكفرون بالرحمن)

[الشرح]

◈ **قال المصنف – رحمه الله –: باب (من جحد شيئا من الأسماء والصفات)**

يعني مراده: باب حكم من جحد شيئا من الأسماء والصفات،

"الجحد": المراد به التكذيب، والإنكار، والنفي كل هذا معنا متقارب،

.ومن جحد شيئا: معناه أنه أنكره وكذب به،

واعلموا أن الجحد:

- تارة يكون بالتكذيب الصريح
- وتارة يكون بالتأويل،

فالجاحد يجحد تارة صراحا بأن يرد القول بجاحة من أصله،

وتارة بنوع تأويل متكلف يقول نعم هو كذا لكن المراد بكذا كذا وكذا وكله في الواقع جحود

فمراد الشيخ: – رحمه الله – في هذا أن يبين حكم من جحد شيئا من الأسماء والصفات،

والمراد بالأسماء والصفات: أي أسماء الله وصفاته،

ولا ريب أن ربنا – سبحانه وتعالى – له أسماء: وقد ذكر ذلك في كتابه في غير ما آية:

- فقال سبحانه: (ولله الأسماء الحسنى)،
- وقال في طه (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى)،
- وكذا قال في آخر سورة الحشر (هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى)

فلا ريب أن الله – سبحانه وتعالى – قد سمي نفسه بأسماء هذه الأسماء حسنى

ما معنى أنها حسنى؟: أي بلغت في الحسن غايته

وهذا هو معنى أنه سبحانه (وله المثل الأعلى): فهو السميع لأن له من السمع أعلاه، وهو البصير لأن له من البصر أعلاه، وهو القوى لأن له من القوة أعلاها، وهكذا في بقية الأسماء،

فالله تعالى قد سمى نفسه بأسماء منها ما ندركه، ومنها مالا سبيل لنا إلى إدراكه:

لقول النبي ﷺ في دعاء الكرب: (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك) فدل ذلك على أن لله تعالى أسماء لا نعلمها قد استأثر بها سبحانه ولكن الله تعالى أعلمنا منها ما شاء، ولهذا قال نبينا ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسما مئة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة)،

وهذه الأسماء الحسنى مبثوثة في الكتاب والسنة: انتدب العلماء قديما وحديثا إلى استنباطها من نصوص الوحيين.

كذلك الله تعالى له صفات:

لأن كل اسم فهو يتضمن صفة ولا يمكن أن يكون للاسم فائدة ما لم يتضمن صفة

فالسميع يدل على السمع، والبصير يدل على البصر، والقوى يدل على القوة، والعزيز يدل على العزة،

والدليل على هذا أن الله تعالى أضاف الصفة إلى نفسه:

- فقال سبحانه: (وربك الغنى ذو الرحمة) هكذا (ذو الرحمة) الرحمة الصفة،
- وقال سبحانه: (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) إذا العزة،
- وقال (فإن القوة لله جميعا) أثبت لنفسه القوة فإذا نثبت لله الأسماء الحسنى والصفات العلى

فما من اسم من أسماء الله إلا وهو متضمن لصفة كمال.

لكن لا يلزم أن يستنبط من الصفات أسماء: لأن باب الصفات أوسع من باب الأسماء، فكل اسم فهو يدل على صفة وليست كل صفة تدل على الاسم:

- فالله تعالى مثلا من صفاته الإرادة وليس من أسمائه المريد،

- من صفاته المجيء فليس من أسمائه الجائي،
- ن صفاته المشيئة فليس من اسمه الشائي،

وهكذا فباب الأسماء أوسع من باب الصفات،

والواجب على المؤمنين أن يثبتوا ما أثبت الله تعالى لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى وألا نتعرض لذلك لأي نوع من أنواع التحريف، والتعطيل، والتكييف، والتمثيل

بل يثبتون ما أثبت الله تعالى لنفسه، وينفون ما نفاه الله عن نفسه، ويثبتون ما أثبته له نبيه –صلى الله عليه وسلم – وينفون ما نفاه عنه نبيه ﷺ:

- يثبتون إثباتا بلا تمثيل،
- وينزهون تنزيها بلا تعطيل، ونص ذلك إن شاء الله سيأتينا في متون قادمة في هذه الدورة المباركة

◈ **طيب ما مناسبة إذا هذا الباب لكتاب التوحيد؟**

مناسبة ظاهرة: وذلك إن التوحيد كما قدمنا ثلاثة أنواع توحيد الربوبية، وتوحيد الإلوهية، وتوحيد الأسماء والصفات فهذا الباب متعلق بالنوع الثالث من أنواع التوحيد على أن حصته في هذا الكتاب قليلة إذ عامة ما في كتاب التوحيد يتعلق بتوحيد العبادة بتوحيد الإلوهية ولكنه ضم هذا وتوحيد الأسماء والصفات

◈ **قال: وقول الله تعالى (وهم)**

من هم: أي كفار قريش وما شاكلهم من مشركي العرب، (وهم يكفرون بالرحمن)

معنى يكفرون بالرحمن: أي يجحدون هذا الاسم لا أنهم ينكرون وجود الله إذ كان القوم يقرون بوجود الله (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) فهم يثبتون وجود الله ويثبتون له أيضا بعض الأسماء كالعزيز والعليم لكنهم أنكروا بعض أسماء الله ومما أنكروه اسم الرحمن لهذا قال:

(وهم يكفرون بالرحمن): كما سيأتي في الأثر الأخير فهم ينكرون الاسم مع إيمانهم بالله تعالى وينبغي أن نعلم أن:

الرحمن: اسم من أسماء الله الحسنى دال على اتصافه بصفة الرحمة،

وفرق ما بينه وما بين الرحيم:

- أن الرحمن يدل على اتصاف الله بصفة الرحمة اتصافا ذاتيا، والرحيم يدل على اتصافه بصفة الرحمة اتصافا فعليا بمعنى أنه يرسل رحمته إلى المرحومين كما قال: (وكان بالمؤمنين رحيما)،
- فرق آخر ذكر أهل العلم أن الرحمن يدل الرحمة العامة والرحيم يدل على الرحمة الخاصة

وكثيرا ما يقرن الله تعالى بينهما (الرحمن الرحيم):

- في البسملة
- وكما في آية سورة الفاتحة

تتمة هذه الآية (وهم يكفرون بالرحمن)

(قل هو ربي): أي الرحمن الذي أنكرتموه، **هو ربي**: إذا من أسمائه هذا الاسم الجليل وهو الرحمن (قل هو ربي **لا إله إلا هو**): أي لا معبود بحق إلا سواه كما تقدم معنا كثيرا،

(عليه توكلت): قدم الجار والمجرور ليدل على الاختصاص

(عليه توكلت): يعني لا على غيره

والتوكل: كما يمر معنا كثيرا هو اعتماد القلب على الله في جلب المنافع، ودفع المضار، مع فعل الأسباب الموصلة إلى ذلك،

(وإليه متاب): يعني إليه سبحانه إلي الرحمن مرجعي وتوبتي فكان جوابهم بهذه الآية (قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب)

◈ **فمناسبة هذه الآية للباب**

أن فيها الرد على من جحد شيئا من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وأن هذا من صفات الكافرين

◈ **فنستفيد من منها جملة فوائد منها:-**

- أولا: أن جحد شيء من الأسماء والصفات كفر، والمقصود بهذا يعني جحده بعد البينة وإقامة الدليل، وربما جحد بعض الناس بعض صفات الله - عز وجل - الواردة في الأحاديث النبوية فيجب أن يعرف فإذا عرف وجحد انطبق عليه الحكم، أما إذا عرف وقبل فالحمد لله.
- أيضا نستفيد من الآية وجوب الإيمان بأسماء الله وصفاته.
- ونستفيد منه أيضا وجوب توحيده سبحانه لقوله: (قل هو ربي لا إله إلا هو).
- ونستفيد أيضا وجوب التوكل عليه.
- ونستفيد أيضا وجوب التوبة إليه سبحانه (واليه متاب).

◈ **ها هنا مسالة يصخب بها المتكلمون** ويقولون: **هل الاسم هو المسمى أو الاسم غير المسمى؟**

وهذه المسألة في الحقيقة ليست من مسائل أهل الإسلام، وإنما مسالة أحدثها المتكلمون من الجهمية والمعتزلة، والأشاعرة، وليست من مباحث أهل الإسلام إلا أنهم قذفوها في فناء المسلمين فكان لابد من البيان فلا نقول الاسم هو المسمى ولا غير المسمى بل نستفصل:

- فإن كان مراده بقوله الاسم غير المسمى -كما تقوله المعتزلة - فمرادهم بذلك أن صفات الله مخلوقة فلا نقرهم على هذا المعنى،
- وإن كان مرادهم بقولهم الاسم هو المسمى ما يقتضي إنكار صفات الله الفعلية - كما تقوله الأشاعرة - وغيرهم فلا نسلم لهم بذلك
- بل التعبير المناسب أن نقول الاسم للمسمى لا أن نقول الاسم هو المسمى ولا الاسم غير المسمى بل نقول إن الاسم يكون للمسمى،

وذلك أنه أحيانا يسوغ أن نقول الاسم غير المسمى إذا قصدنا اللفظ الدال عليه فاللفظ الدال عليه غيره يعني غيره بمعنى أنه يقال الرحمن اسم من أسماء الله نريد ذلك اللفظ فهو غير ذات الله - عز وجل -بوصفه لفظا مستقلا فلابد من التفصيل في هذه المسائل المحدثة، ولهذا قال الإمام ابن جرير الطبري هذه من الحماقات الحادثة التي أحدثها المتكلمون

- نستفيد أيضا أن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف أسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف؛ أعلام باعتبار دلالتها على ذاته سبحانه فكل اسم من أسماء الله الحسنى فهو يدل على ذاته يدل على ذات واحدة هي ذاته سبحانه، وأوصاف أي كل اسم فهو يدل على صفة مستقلة تميزه عن غيره فالسميع غير البصير، والبصير غير العليم، والعليم غير القدير من حيث تميز كل اسم منها بمعنى مستقل، ولهذا إذا قيل لك هل أسماء الله الحسنى متباينة أو مترادفة؟ فقل هي مترادفة باعتبار، ومتباينة باعتبار مترادفة باعتبار دلالتها على الذات، ومتباينة باعتبار استقلال كل اسم منها بمعنى يخصه فجميع الأسماء الحسنى دالة على ذات الله فالله هو السميع هو البصير هو العليم كما قال سبحانه: (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن) إلى آخر الآيات فكل هذه الأسماء الحسنى ترجع إلى اسم الله فبهذا الاعتبار يعني باعتبار دلالتها على الذات هي مترادفة، أما باعتبار اختصاص كل اسم بمعنى يميزه عن غيره فهي متغايرة ومتباينة فالسميع يدل على السمع والبصير يدل على البصر والعليم يدل على العلم والقدير يدل على القدرة وهكذا خلاف للمعتزلة لأن المعتزلة تقول أسماء الله مجرد أعلام فقط مجرد أعلام فقط تدل على ذات الله لكن لا تدل على صفات لأنهم ينكرون الصفات فنقول كلا بل هي أعلام وأوصاف

– كذلك أيضا نستدل من الآية على اختصاص الله – عز وجل – بهذا الاسم الشريف الرحمن فلا يجوز إطلاقه على غيره لا يجوز إطلاقه على غيره؛ من أسماء الله الحسنى بل أكثرها ما يجوز إطلاقه على الله – عز وجل – باعتبار ما يليق به ويجوز إطلاقه غير الله باعتبار ما يليق به فمثلا قد قال الله – عز وجل –: (وقالت امرأة العزيز) فسمي خلقا من خلقه العزيز مع أن العزيز من أسماء الله الحسنى، وقال سبحانه: (ولها عرش عظيم) فوصف خلقا من خلقه بالعظم مع أنه سبحانه هو العظيم، ووصف بعض عباده فقال: (وقال الملك) مع أن الله تعالى هو الملك فعلام يدل ذلك؟ يدل على انه يجوز ان يسمى بعض المخلوقين باسم يسمى به الله لكن على اعتبار أن ما لله يليق به هو المثل الأعلى وما للمخلوق يليق به عزة تليق به، ملك يليق به، عظمة تليق به لكن من السماء الحسنى ما لا يجوز إطلاقه على غير الله مثل اسم الله لا يمكن بحال أن يطلق هذا الاسم على غير الله، ولهذا أبطل الله ألوهية كل آلهة مدعاة (أم اتخذوا من دونه آلهة) أنكر عليهم ذلك، ومما يختص الله تعالى به أيضا اسمه الرحمن لأنه يدل على طلاقة الرحمة، وسعتها، وشمولها فلا يجوز أن يتسمى إنسان بالرحمن يجوز أن يتسمى إنسان برحيم رءوف كما قال الله عن نبيه: (بالمؤمنين رءوف رحيم) لكن رحمن لا تكون إلا الله، أيضا لا يجوز أن يسمى غير الله بالمتكبر لأن المتكبر حقا هو الله فلا يحل لأحد أن يتسمى بهذا الاسم وهكذا

– ونستفيد أيضا من هذه الآية كفر الجهمية اللذين أنكروا أسماء الله وصفاته؛ فإذا كان المشركون قد كفروا بإنكارهم اسم الرحمن وهو اسم واحد فقط فما بالك بالجهمية اللذين أنكروا أسماء الله الحسنى وزعموا أن الأسماء الحسنى اصطنعها الناس وأطلقوها على الله – عز وجل – تعالى الله عما يقولون، ولهذا أجمع السلف على تكفير الجهمية وإن كانوا قد اختلفوا في تكفير المعتزلة، أما الجهمية فلم يختلف السلف في تكفيرهم لشناعة مقالتهم وأنه ليس لهل تأويل سائغ، كما قال ابن القيم – رحمه الله – (ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من علماء من البلدان) يعني كم خمس مئة علم خمسون في عشر فكل هؤلاء قد أفتوا بكفر الجهمية وذلك لشناعة مقالتهم

ثم نقل المصنف – رحمه الله – قال:–

◈ **وفي صحيح البخاري قال علي، علي هو أمير المؤمنين على ابن أبي طالب – رضي الله عنه – (حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله)**

هذا الحديث قد رواه الإمام البخاري: في كتاب العلم تحت باب من خص قوم دون قوم كراهية ألا يفهموا، الإمام البخاري – رحمه الله – له في مستهل صحيحه كتاب حافل ينبغي لكل طالب علم أن يقرأه وأن يستشرحه اسمه كتاب العلم ذكر فيه مسائل متعلقة بالعلم وآدابه وطرقه ما هو هذا الباب باب من خص قوم دون قوم كراهية ألا يفهموا وذكر هذا الأثر عن علي – رضي الله عنه –:

(حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله)

بما يعرفون أي بما يفهمون فعلي – رضي الله عنه – كأنما كان يخاطب قوما من القصاص والواعظ يخاطبون الناس بأمور تشتبه عليهم فنهاهم عن ذلك وقال: (حدثوا الناس بما يعرفون)

(أتريدون أن يكذب الله ورسوله): فلا ببادئ الناس بأمر لا يفهمونه ولكن يبادئون بما أنزل الله وما أنزل رسوله فكل ما أنزله الله وانزل رسوله فهو بين واضح لأنه لأن الله وصف كتابه بأنه مبين، وتبيان لكل شيء، وبيان للناس فهو بحمد الله واضح لكن لا يؤتى للناس بشيء من الإسرائيليات والقصص المشكلة فيقع عندهم اشتباه وإنما يوعظون ويقص عليهم ما جاء في الآثار الصحيحة، ويجنبون ما يكون سببا للاشتباه والإشكال

◈ **فهذا الأثر مناسب للباب**

لأنه قد يفضي بعض القصص وبعض الأخبار أن يكذب بشيء من أسماء الله وصفاته

◈ **نستفيد من هذا الأثر:-**

– ما قصده الإمام البخاري في حديثه وهو تحاشي ذكر بعض أبواب العلم إذا خشي ضرر بسبب عدم فهمهم أو استيعابهم، وهذا له صور متعددة قد يكون يترك التحديث بسبب قصور فهمهم أو يترك التحديث لخشية ضرر متوقع، ولهذا كره بعض السلف أن يحدث الحجاج بحديث العرنيين حديث العرنيين فيه تعذير بليغ حيث ثمل النبي ﷺ عيونهم وألقاهم في الرمضاء لما استقوا الإبل ونهبوها وقتلوا الراعي فأغلظ عليهم في العقوبة فلهذا كره بعض السلف أن يحدث الإنسان الظالم الغشوم بمثل هذا الحديث لأن هذا يبعثه على مزيد الظلم فيظن أن هذا يؤيد طريقته فلابد للواعد الحكيم أن يختار المناسب

– أيضا من هذا أن ظهور القصاص والوعاظ قديم في الأمة؛ لم يزل في الأمة قصاص ووعاظ ولكن ينبغي ترشيدهم أن يرشدوا ويوجهوا لأن هؤلاء يحصل بهم موعظة وترقيق قلوب لكن ينبغي إن يوجهوا فلا يذكروا أحاديث ضعيفة، ولا يبادئوا الناس بما يشكل عليهم، وإذا الإنسان منهم شيء من هذا بين لهم بين لهم الحق ولم يحل بينهم وبين الموعظة والتذكير لكن نبين لهم المسلك الصحيح وأنهم ينبغي أن يعظوا بموعظة الكتاب والسنة

– نستفيد من هذا الحديث التحذير من البدع وما تفضي إليه

◈ **ثم قال المصنف – رحمه الله – :- وروى عبد الرزاق**

هو عبد الرزاق: بن همام الصنعاني – رحمه الله – عن معمر وهو معمر بن راشد الأسدي عن ابن طاووس أبوه طاووس والابن هو عبد الله فهو عبد الله ابن طاووس اليماني عن أبيه طاووس ابن كيسان – رحمه الله –

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - :أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديث عن النبي ﷺ في الصفات استنكارا لذلك:

يعني حدث ابن عباس - رضي الله عنه - بحديث من أحاديث الصفات كأن يكون حدث بحديث فيه بعض الصفات الخبرية كذكر الوجه واليدين أو العينين أو القدم أو الساق فانتفض الرجل لما سمع هذا الحديث استنكارا لذلك أتدرون لماذا؟ لأنه تبادر إلي ذهنه ماذا التشبيه تبادر إلى ذهنه فالعلة ليست في النص، العلة في عقله حيث ظن ان هذا النص يدل على التشبيه فانتفض استنكارا لذلك لكن انظروا جواب هذا الحبر العظيم حبر هذه الأمة وترجمان القرآن قال

(ما فرق): الفرق هو الخوف يعني مما يخاف ما الواجب لهذه الرعدة والانتفاضة فهذا الاستفهام استفهام استنكاري،

(يجدون رقة عند محكمه): يعني رقة لينا وقبولا وتأثرا واستجابة عند الأمور المحكمة الواضحة،

ويهلكون عند متشابهه: حين يشتبه عليهم يهلكون كمن حكى الله عنهم في الكتاب: (متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله) فما الذي اتبعه هذا الذي انتفض اتبع المتشابه حيث ظن أن ذكر الصفات يقتضى التمثيل والتشبيه والأمر ليس كذلك

فالواجب عليه إذا اشتبه عليه هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم وأن يقول: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) هذا نص محكم فمعنى ذلك أنه كل ما أخبر به النبي ﷺ عن ربه أو أخبر الله تعالى به عن نفسه فانه لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون على وجه التمثيل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فيثبت إثباتا بلا تمثيل وينزه الله تنزيها بلا تعطيل هذا الواجب علينا أن نثبت إثباتا بلا تمثيل فنثبت ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له نبيه ﷺ، ولا نبالغ في الإثبات إلى أن نقع في التمثيل.

أيضا ننزه الله تعالى تنزيها عن النقائص والعيوب ومماثلة المخلوقين، لكن لا نغالي في التنزيه حتى نقع في التعطيل، وجحد ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به نبيه ﷺ ، بل نتوسط نقبل هذه النصوص الثابتة الصحيحة، ونؤمن بما دلت عليه من المعاني اللائقة بالله، وننفي التمثيل عن الله؛ لأن كلا الطرفين التمثيل والتعطيل مذموم لأن الممثل يعبد صنما، والمعطل يعبد عدما، والمؤمن الحنيف يعبد الله الحي الذي لا يموت الذي (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

طيب هذا الحديث أو هذا الأثر أخرجه: عبد الرزاق في مصنفه، وابن أبي عاصم في كتاب السنة وإسناده صحيح بحمد الله،

◈ **ومناسبته للباب ظاهرة**

إذ أن هذا الرجل الذي انتفض أنكر صفة من صفات الله فأنكر عليه ابن عباس هذا الصنيع وهذا المسلك، وبين بأنه يجب على الإنسان أنه يؤمن بالمحكم والمتشابه كما قال الله تعالى عن الراسخين في العلم:

(والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) إذا ما دام كل من عند ربنا فلا يمكن أن يتعارض ولا أن يتناقض (ولا يذكر إلا أولى الألباب) .

وبناء عليه يا عبد الله ويا أمة الله إذا مر بك نص من نصوص الصفات أو من نصوص الوعيد ولم تحط به علما وأشكل عليك فاعتصم اعتصم بالمحكم: (وقل آمنا به كل من عند ربنا) هذا الذي اشتبه عليه لا يمكن أن يكون معارض للمحكم الذي أخبر الله به بكذا وكذا ، فإذا اشتبه عليك شيء من نصوص الصفات وتوهمت أنه يدل على التمثيل فاذكر قول الله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ، فإذا اشتبه عليك نص من نصوص القدر، وتبادر إلى ذهنك معنى سوء ألقاه الشيطان بان هذا يقتضى ظلما فاستمسك واعتصم بالمحكم (وما ربك بظلام للعبيد) (إن الله لا يظلم مثقال ذره) ، هكذا طريقة الراسخين في العلم ثم بعد ذلك اطلب بيان هذا المتشابه فانك إن جهلته فقد علمه غيرك، ولذلك لا يوجد متشابه مطلق في الشريعة التشابه يا رعاكم الله نسبى يشتبه على بعض الناس دون بعض، يشتبه على إنسان في وقت دون وقت، قد يشتبه عليه بعض الأشياء في مقتبل طلبه للعلم فكلما ازداد علما جلت عنه الإشكالات وتبين له الحق وهكذا فانه لا يوجد في دين الله وفي وحى الله شيء مشتبه اشتباه مطلقا لأن الله وصف كتابه كله بالإحكام فقال سبحانه: (كتاب أحكمت آياته) إذا القرآن كله محكم لهذا الاعتبار فما جهلته فإياك أن تتبع فيه طريقة أهل الزيغ من إتباع المتشابه بل اعتصم بالمحكم إلى أن يفتح الله عليك واسأل أهل الذكر إن كنت لا تعلم

إذا قد مر بنا هاهنا لفظ المحكم والمتشابه فينبغي أن تعلموا – يا رعاكم الله – لأن هذا:

◈ **بحث مهم: أن الله تعالى وصف كتابه بالإحكام العام وبالإحكام الخاص، ووصف كتابه بالتشابه العام وبالتشابه الخاص وبيان ذلك كما يلي:**

– وصف الله تعالى كتابه **بالإحكام العام** كما في قوله: (كتاب أحكمت آياته)

ما معنى الإحكام العام؟ الإتقان

فالقرآن كله محكم بهذا الاعتبار (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فلا يمكن أن يكون في القرآن خلل (فارجع البصر هل ترى من فطور) أبدا،

– وصف الله كتابه **بالتشابه العام** أين ذلك قال الله تعالى؟ (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها)

ما معنى التشابه العام؟ أي يشبه بعضه بعضا، ويصدق بعضه بعضا، ويناسب بعضه بعضا فلا يتناقض ولا يتعارض. فما ذكر في موضع يوافق ما ذكر في موضع آخر ولا يمكن أن يأتي في موضع ما يخالف ما ذكر في موضع آخر هذا هو التشابه العام الذي يشمل القرآن كله،

إذا القرآن كله متشابه بهذا الاعتبار أي يشبه بعضه بعضا، ويصدق بعضه بعضا، ويناسب بعضه بعضا طيب

ما المقصود، إذا بالإحكام الخاص والتشابه الخاص؟

هو المذكور في آية آل عمران قال الله – عز وجل – (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب)

إذا ما معنى آيات محكمات هن أم الكتاب؟ يعني آيات واضحات الدلالة لا تحتمل إلا معنى واحد وهذا هو أم الكتاب عامة المصحف هكذا

(وأخر متشابهات): يعني آيات أخر حمالة أوجه يعني تحتمل أكثر من معنى عند بعض من ينظر فيها

وقد جعل الله ذلك من باب الابتلاء والامتحان

لكن هذا التشابه تشابه نسبي كما أسلفت تشابه اضافى يعني يشتبه على بعض الناس دون بعض، يشتبه على الشخص في وقت دون وقت يشتبه في نص دون نص فهذا التشابه تشابه نسبى إضافي، وهى معدودة يعنى قليلة فما الواجب؟

قال الله – عز وجل –: (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله) يعنى لا يعلم حقيقة ما أخبر الله تعالى به وكيفيته إلا الله – عز وجل – (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب)

◈ **إذا مناسبة هذا الأثر واضحة ونستفيد منه:–**

– ما يدل على جواز ذكر آيات الصفات وأحاديثها بحضرة العوام والخاصة؛ ردا على من قال لا يحدث بأحاديث الصفات عند العوام سبحان الله أليس النبي ﷺ تكلم بها أليس حدث بها الذكي والبليد، والأعرابي، والحضري، والمتعلم، والجاهل (الحجر بل نقول بل نحدث بما حدث به النبي ﷺ وإذا اشتبه شيء تم بيانه لكن ليس هناك شيء من العلم الذي اخبر به النبي ﷺ يمنع منعا مطلقا – أيضا نستفيد أن من رد شيء من خبر الله ومن خبر رسوله فهو من الهالكين؛ لقول بن عباس – رضي الله عنه – (يهلكون عند متشابهة)، ولقول الإمام أحمد فيما مر علينا عسى لعله وقع في قلبه شيء فرد ما جاء به فيهلك أو كما قال – رحمه الله –

– ونستفيد أيضا الإنكار على من أنكر شيئا من أسماء الله وصفاته؛ كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم

– ونستفيد أيضا أن التشابه في النصوص أمر نسبى إضافي

- ونستفيد أن إتباع المتشابه يفضي إلى الهلاك
- ونستفيد أخيرا وجوب رد المتشابه إلى المحكم

وصلي اللهم علي نبينا محمد، وعلي آله وصحبه أجمعين؛؛

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ